





قبور الشهوة



سامي معروف

# قبور الشهوة

(شعر)

دار الفارابي

الكتاب: قبور الشهوة  
المؤلف: سامي معروف  
الغلاف: [www.kreactivdesign.com](http://www.kreactivdesign.com)

الناشر: دار الفارابي - بيروت - لبنان  
ت: ٣٠١٤٦١ (٠١) - فاكس: ٣٠٧٧٧٥ (٠١)  
ص.ب: ٣١٨١/١١ - الرمز البريدي: ١١٠٧ ٢١٣٠  
[www.dar-alfarabi.com](http://www.dar-alfarabi.com)  
e-mail: [info@dar-alfarabi.com](mailto:info@dar-alfarabi.com)

الطبعة الأولى: آب ٢٠١٤  
ISBN: 978-614-432-075-4

© جميع الحقوق محفوظة

تباع النسخة الكترونياً عبر موقع الدار.

## توطئة

تتصوَّعُ الذاتُ حيناً ما أحياناً، أو وَحشةً وذهولاً.. أو  
اغتراباً!

في سيرها المُضني عبرَ التضادِّ الطَّويل، والتماهي  
الشاقِّ والبعيد... تأخذ قيلولةً عندَ حافةٍ أو تحتَ شجرة.  
ترسمُ التخيلاتُ سوائِلَ ومسائِلَ ترشَّحُ وتروي..  
تخطُّ المخاوفُ في الهوامِشِ سُطوراً رَماديَّة، مُنتظمةً حيناً  
ومُتفاجِرةً أحياناً أخرى. تتعلَّقُ الذاتُ هُنيهةً بحبالِ الصُّورِ  
المرآتيةِ وتستريح، تُغيِّبُ المراحلُ ويتوقَّفُ التَّالِمُ قليلاً..  
وتتدوَّرُ السَّاعاتُ في الأحلامِ والرُّؤى، ويُصلَبُ الوعيُّ  
على خشبةِ النِّغماتِ الآفلة.

أشعرُّ هذا الذي أقول! أم هو النثر؟! أطلقُ العُصفورَ

من قفصِ الواجبِ واللائقِ والضَّروريِّ والمُجديِّ والمُفيدِ  
والمُنظَّمِ.. ليسبحَ في الفضاءِ دقائقَ.. سيعودُ ليقتاتَ  
بالدَّورانِ المُعلَبِّ.

أعذرني يا أخي.. وسامِحني على ما أخطُّه في هذه  
الصِّفحاتِ. هذا أنا في زمنٍ رماديٍّ.. وفي مساحاتٍ خريفيةٍ  
مُستحيلةٍ ذاهلةٍ! أكشفُ لك بعضَ ضعفي وأبوح... فالتقطُ  
لو شئتَ من هذه الحَبَّاتِ في شلحِ جُرْحي وتذوَّقها.. قد  
تجدُها لذيدةً! وإن كرهتها ازمها وامضِ في سبيلك وانسَ  
ما سمِعتَ.

س.م.٠

قبور الشهوة

إنَّه المَسَاءُ فوقَ جزيرتِكَ ومن حولِها، وهنا وهناك.  
في كلِّ مكانٍ حيثُ يستديرُ إناءُ البَحْرِ استدارةً كاملةً.  
إنَّه المَسَاءُ في لونِ الأَجفانِ.. فوقَ الدَّرُوبِ  
المنسوجةِ من سَمَاءٍ وبَحْرِ.  
الكلُّ مالِحٌ، الكلُّ لزجٌ،  
وثقيلٌ كَدَمٍ حيٍّ.

سان جون بيرس

المدينة

قبور الشهوة

## العاشقة

لا أستطيعُ أن أبغضَكَ!  
عيناَيِ مرآةٍ توراتيةٍ، وشفَتايِ مذبَحٍ وَثنيٍّ، وفؤادي نارٌ  
غريبةٌ...  
لا أستطيعُ أن أبغضَكَ.

رُؤايِ عَصْفٌ في غمارِ الهُروبِ، ووجهُكَ مُويجاتٌ  
صاخبةٌ جاثمةٌ مُتشابحةٌ! والأناملُ رَشَقُ رذاذٍ يُقدِّسُ  
شعريَ الأشقرَ حيناً ويُنجِّسُهُ أحياناً أخرى، ولا أستطيعُ أن  
أبغضَكَ.

بالأمسِ رَشَقْتُ أجنحةَ المساءِ عنكَ. وفي الصَّبَّاحِ

قبور الشهوة

صَحَوْتُ عَلَى نَقْرِ عَنيفٍ لِعُصْفُورٍ شَرِيدٍ قَرَبَ زَجَاجِ  
الْنافِذَةِ. رَقَصَ رَقِصَةً وَاحِدَةً، رَمَادِيَّةً أُخِيرِيَّةً، ثُمَّ تَوَارَى بَيْنَ  
الْغُصُونِ.

بِالْأَمْسِ هَاجَسْتُ الْحَصَى وَالتَّرَابَ الْحَمِيمَ عَنكَ،  
فَمَا سَمِعْتُ غَيْرَ الدَّهْوَلِ! بِيَدِ أَنْ عَاشِقِينَ عَابَثِينَ اسْتَحَالَا..  
وَمَلَأَ الْجَوَاءَ شِدْوًا وَضِحْكَاً.. ثُمَّ كَمَلَا كَيْنِ تَلَاشِيَا. وَتَعَلَّقْتُ  
دُمُوعِي بِضِحْكِهَما كَجِبَالِ الْغَرِيمِ. وَخَفَقْتُ وَحَدَّتِي كَالْعَزَاءِ  
السَّجِينِ.

بِالْأَمْسِ سَاجَلْتُ الْمَوَاعِيدَ وَاللَّيَالِي.. فَمَجَّجْتَنِي أَشْدَاقُ  
الْحَيْرَةِ الْمَجْنُونَةِ عِنْدَ شَاطِئِ الْحَتْمِيَّةِ الْقَفِيرِ، وَلَمْ تَتْرُكْ لِي  
نَسْغًا لُبْعِدِ الْوَأَقِعِ الْمَتَكَابِرِ.

نَعَمْ حَبِيبِي، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْغِضَكَ.

قبور الشهوة

لا تكررهُ الأمُّ ساعةَ المَخاضِ، ولا الانتِحاريُّ لحظةَ  
الاستشهادِ، ولا يَمقتُ المَسِيحُ حامِلاً عودَ الصَّليبِ.  
لا أحملُ في جَعبتي غيرَ الحُبِّ!

أحشائي قبضةً من المَحَبَّةِ وأنا هيكلٌ من الدَّموعِ. وكذا  
الماسُ قلبٌ من الرَّمْلِ وثوبٌ من السُّحرِ.  
لا يَجرحُكَ وَخزُ المَعانِدَةِ. عِنادي أُخيلةٌ غرورِكَ،  
ودَلالي آثارُ خَطوِكَ، وتمنُّعي مياهٌ صافيةٌ حيثُ نبتتُ زهرةٌ  
النرجسِ المشؤومة!

أنتَ بيدِكَ أطعمتني من شجرةِ الدَّمعِ والابْتسامِ. ومن  
حينها أبكي وأضحكُ كالحُزنِ والفرحِ! فأنا جاهلةٌ هويّتي:  
أظلامٌ زاها هي أم نورٌ حزين؟  
لا أقدرُ أن أبغضَكَ لأنك حَقيقةٌ خرافيةٌ في دَفترِ  
تزامناتي، وجبارٌ طفوليٌّ في خزانةِ تشابكاتي، لأنك عَجوزٌ

قبور الشهوة

في مَهَبِّ الرَّبِيعِ.. تَحْمِلُ عُكَّازَكَ الْغَرَائِبِيَّ وَتَمَسُخُ فَرَاشَاتِ  
الْفَجْرِ أَقْوَساً مِنَ الْمَغِيبِ.

أخشى إذا شربتُ من كأسِكَ أن تتحطَّم الكأسُ!.. أنا  
جَوْهَرٌ تَوَرَّمَ حَتَّى تَمَزَّقَ الشَّكْلَ. أحتَاجُ إِلَيْكَ تَحْمِلُ نِصْفَ  
دَوَاخِلِي وَتَعْدُو عَلَي الدَّرُوبِ الْقَفْصِيَّةِ لِتُرْسِمَ وَجْهًا خَرِيفِيًّا  
فِي نِهَائِيَةِ الْمَخَافِ.

تَكَبَّرُ.. تَمَرَّدُ.. وَغَنٌّ فَلَنْ أَبْغِضَكَ إِذَا عَثَرْتُ فِي قَبْرِ  
شُحُوبِكَ عَلَى قِنْدِيلٍ غَبِيرٍ... حُشِرْتُ فِيهِ كَلِمَاتٌ وَرُؤْيٌ  
كثيرةٌ، زَمَانِيَّةٌ، لَنْ تَمْشِيَ فَوْقَ التَّرَابِ بِغَيْرِ نَعْمَاتِ شَوَاعِلِي  
المُعلَّقة.

لا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْغِضَكَ،  
لَأَنِّي أَحِبُّكَ.

٢٠٠٣/٣/١٩

## النَّار

نارٌ!

نارٌ لا تعرفُ التُّخمةَ أوِ القَرَفِ.

نارٌ منَ الدَّاخِلِ وفي الخارِجِ نارٌ أيضاً.

نارٌ من فوقٍ ونارٌ من تحت.

يتراشقُ السُّلْبُ والإِيجابُ بلا رؤيا أو رؤية! والمِسْخَانِ

الجَمِيلانِ هُما العَبَثِيَّةُ والانتِظام.

البدايئةُ والتَّكاملُ في نَفقِ الغليانِ الدَّاخِلِيِّ المُتخارجِ

نحوَ الوقوفِ، والمُتداورِ على ذاتِهِ.

أنا نارٌ تحرقُ نفسَها والآخرونَ النقيضَ! ربّما لأنّ

ضَوئي مُتسامِخٌ، أو قناديلي تَأبى الاستِشهادَ إلاّ في الشّوارعِ

الفقيرة.

إِنَّ الحَبَلَ طَوِيلٌ جَدًّا وَلَا نِهَآيَةَ لَهُ، وَهَذِهِ البُرُّ كَمْ هِيَ  
عَمِيقَةٌ! آه... أَنَا لَا أَبْصِرُ لَهَا قَعْرًا، وَلَقَدْ رَمَيْتُ وَجْهِي فِيهَا  
وَلَمْ أَسْمَعْ صَوْتَ اصْطِدَامٍ!

نَارٌ تَجُرُّ النَّاسَ بِذَيْلِهَا فِي طَرِيقِهَا المَزْعُومَةِ، فَكَأَنَّمَا  
هُوَ شَيْءٌ حَطَّمَ الإِنَاءَ النِّحَاسِيَّ الصَّغِيرَ وَرَاحَ يَطْفُرُ بَعْدَ أُسْرِ  
طَوِيلٍ. وَهِيَ تَشُدُّ سِيزِيفَ إِلَى القَمَّةِ ثُمَّ تَهْوِي بِهِ إِلَى القَاعِ  
الفَارِغِ.

هِيَ بِحَارٌ وَصَحَارٌ، مَغَاوِرٌ وَبَرَارٍ، لِأَنَّ التَّارِيخَ سَافَرَ بِنَا  
إِلَى الجَوَاءِ الأوَّلِي. فِي الشُّوَارِعِ تَذْبَحُهُمْ نَارٌ كَهْرَبَائِيَّةً، وَفِي  
القُصُورِ نَارٌ فَاجِرَةٌ عَاهِرَةٌ، وَفِي أَمْكِنَةٍ أُخْرَى نَارٌ مِنْ صَنْفِ  
آخِرِ.

آه! مَتَى يَنْتَهِي الدَّوْرَانُ فِي بَيْتِ السَّجْنِ؟ وَمَتَى خِتَامُ  
الفُصُولِ؟

قبور الشهوة

تُرى متى ينتهي زحفُ النارِ المغوليّة؟ متى نَعثرُ على  
الماسِ المُخبأ في البُستانِ الخزفيِّ، ومتى كمالُ الصّورة؟

متى نقبُضُ بأصابعنا أنفاسَ العجوزِ الخبيثِ الذي  
يمشي في دماننا ناراً بُركانيّة؟ متى تنسى الخدودُ الجفونَ  
فوقِ وهادِ الماسي الكوميديّة؟ متى نكفُّ عن نثرِ الهوامِشِ  
نجوماً بينَ الأفلاكِ، ودفنِ القلوبِ في أحشاءِ الأرضِ؟  
ومتى نطبَعُ النارَ مشهداً سرّابياً عندَ التخومِ؟

عندَ الفجرِ تقذفني منَ الفراشِ لكمةً منَ الذّهولِ  
والتردّدِ، وعندما أتلمّسُ الحقيقةَ وأسلمُ قدميَّ لِسُلطانِ  
الاتّجاهِ المكتوبِ، تتأبني نوباتُ التفرُّغِ والانجرادِ،  
فتصمّتُ صرّخاتُ في أعماقي بقوةٍ.. وتعودُ الثواني إلى  
الرّحيلِ التقليديِّ.

قبور الشهوة

تِلْكَ هِيَ النَّارُ الَّتِي لَا تَشْعُرُ بِالتُّخْمَةِ أَوْ الْقَرَفِ...  
نَارٌ مِنَ الدَّاخِلِ وَفِي الْخَارِجِ نَارٌ أَيْضاً.

نَارٌ مِنْ فَوْقُ وَنَارٌ مِنْ تَحْتِ.

٢٠٠١/١٠/٢٧

## صرخة أسر

تبكي الدِّيَاجي مَاءَ لَوْنٍ بَاهِتٍ  
والبُغْضُ يُذْبَحُ فِي ثَنَايَا الشَّامِتِ

هِيَ لِحِظَةٌ فِي البُعْدِ جُنَّ جُنُونُهَا ..  
يَا بَعْدُ جِئْتِ مِنَ الزَّمَانِ المَائِتِ

هِيَ صَرَخَةٌ وَثَبَتْ عَلَى رِيشِ الظَّمَا  
وَتَدَحْرَجَتْ مِلاءَ الفِرَاغِ الصَّامِتِ

هِيَ نَبْضَةٌ فِي أَضْلعِ اللَّيْلِ ارْتَمَتْ  
وَاسْتَعْدَبَتْ مُرَّ النَّجِيعِ الخَافِتِ

يَا مَوْتُ يَا لِدَةَ الْحَيَاةِ أَيَّتْهِي  
دَرْبُ التَّلَاشِي اللَاتْنَاهِي الثَابِتِ!؟

المَوْتُ يُنْبِتُ فِي القلوبِ خِدَاعَهُ  
وكذا الرَّحِيلُ مِنْ الخِدَاعِ النَّابِتِ

١٩٩٨/٣/٢٦

## سريالية

الرَّيْحُ تَغْرُبُ فِي الدُّنَى وَتَنَاءَى  
فِي لَيْلَةٍ، لَوْ تَنْتَهَى، ظَلَمَاءَ...  
لَفِظْتُ عَلَى الثَّوْبِ الْمُدْهَبِ نَبْضَةً  
وَتَبَعَثَرْتُ بَيْنَ الْقُلُوبِ لِقَاءً.

رَسَمْتُ عَلَى الرَّمْلِ الْغَرِيبِ قَصِيدَةً  
تُرْوِي وَتَسْرُدُ شَوْقَهَا خَرَسَاءً!  
خَرَسَاءُ تَكْشِفُ سِرَّهَا فِي صَمْتِهَا  
كَصَبِيَّةٍ فِي غُنْجِهَا بَلْهَاءُ

بلهَاءُ تَعْلِنُ حِكْمَةً فِي جَهْلَةٍ!  
يَا حِكْمَةً عَلَوِيَّةً غَنَاءَ  
رَشَفْتُ خَطَايَا الْقَدْسِ رَوَّتْ غِلَّهَا  
وَتَغْلَغَلْتُ تَحْتَ الشُّقَاءِ رَجَاءَ

هَتَفْتُ عَلَى سَمْعِ السَّوَادِ وَحَطَّمْتُ  
جُدْرَانَهُ وَحِجَارَةَ السَّوْدَاءِ  
وَتَمَزَّقْتُ عِنْدَ الْبِشَاعَةِ وَانْتَنَتْ  
تَبْنِي صُرُوحَهُ رَوْنِقاً وَبِهَاءَ

وَيَدْتُ مَدْلِكُ كُلِّ غِرِّ عَابِثٍ  
حَمَلْتُهُ أَشْرَعَةَ الْحَنِينِ وَرَاءَ  
شَطِّ الرِّذَائِلِ وَالْعَجَائِزِ وَالذُّمَى،  
وَجْهًا تَقْمَصُ جَيْفَةً حَسَنَاءَ!

قبور الشهوة

مَوْتًا تَرَكَمَ فَوْقَ مَوْتِ لَمَّةِ  
عَطْفِ الْمَشَارِقِ فَاذْبَعِي الْإِرْسَاءَ  
وَالْحُزْنَ مُبْتَهَجٌ بِشَرِّ صَلاَحِهِ  
رَوَى الرَّمَادَ وَخَضَّبَ الْإِمْسَاءَ

مِنْ دَمِّ شَهْوَتِهِ وَدَرَّ نَشِيدَهُ  
وَالْبَحْرُ رَدَّدَ شِعْرَهُ.. وَأَسَاءَ  
يَارِيحُ هُبِّي فِي تَلالِ رُبُوعِنَا  
مَا الْأَرْضُ غَيْرَ نَسَائِمِ خَضْرَاءَ

وَالْحُبُّ طِيبٌ فِي الْعِظَامِ وَرَمَقَةٌ  
نَحْوَ الْبَعِيدِ لِبُقْعَةٍ عَازِرَاءَ!  
فِيهَا الْعَيُونَ تُعَانِقُ وَتَلَاثَمَتْ  
وَتَشَابَهَتْ، وَغَدَا الْجَحِيمُ سَمَاءَ

١٩٩٧/١٠/١٠

## ظلال ذئب

### ظِلُّ أَوَّل

- ١ -

خفّاشٌ أرعنٌ في فجرٍ،  
يتلمّسُ أشباحَ الموجدِ،  
والموؤودِ...  
عرباتُ الذاتِ معَ الفجرِ  
تركتُ في الليلِ رؤاها  
وجواها،  
وتناهتُ في الحقلِ الفاجرِ والقفرِ.

-٢-

مِرَاةً تَرْقُصُ فِي وَجْهِ السِّيفِ،

بَشِعَهُ!

فَرَعَهُ!

-٣-

أَحْلَامٌ فِي الْقَمَقِمِ مَسْحُورَةٌ،

مِنْ أَلْفِ مَاتَ بَارِضٍ مَهْجُورَةٌ...  
وَالآنَ تَصِيدُ نَسُورَهُ.

-٤-

جَوْفٌ يَتَقَيُّ أَمْعَاءَهُ

وَجُنُونَهُ

وَالإِثْمُ عِبَاءَهُ

تَتَلَأُّ فِيهَا أَطْيَافُ عُفُونَتِهِ.

## ظِلٌّ ثَانٍ

- ١ -

لِلظَلَمَةِ نُورٌ مَمْسُوحٌ،  
يَتَعَمَلُقُ حِينًا ثُمَّ يُؤُوحُ،  
فِي زَمَنِ الْأَرْوَاحِ الرَّمَلِيَّةِ،  
وَالْمَسِيَّةِ...  
فِي زَمَنِ النَّهْشِ الْمَعْبُودِ  
وَالْمَنْشُودِ...  
فِي أَرْضِ الْوَهْمِ الْمَوْجُودِ!  
وَالنُّورِ الْمَمْسُوحِ.

- ٢ -

أَلشَّيْءُ يُحِبُّ ظِلَّالَهُ،  
وَالظِّلُّ حِجَارَهُ.  
وَالْحُبُّ غِلَّالَهُ،  
سُدِلَتْ فِي وَجْهِ الْأَعْمَى كِسْتَارَهُ.

-٣-

بئسَ الذاتُ شيئاً  
والشّيءُ ذاتاً.  
بئسَ الأقزامُ رجالاً،  
والقيعانُ جبالاً  
والحُبُّ لحمًا  
واللحمُ رمالاً.

ظِلُّ ثَالِثٍ

-١-

يَبْحَثُ عَن وَجْهِ فِي الظلمةِ...  
والظلمةُ مِرْأَةٌ سَوْدَاءُ!  
مَوْجُودٌ فِي الآخِرِ مَيِّتًا.  
مَسْكُوبٌ فِي الآخِرِ زَيْتًا،  
مُغْتَرَبٌ فِي الآخِرِ أَهْوَاءُ  
بَيِّضَاءَ كَفَحْمَةٍ.

-٢-

نَايَاتُ الشُّعْرِ وَأَزْهَارُهُ،  
وَأَنَاشِيدُ مَكْلُومَةٍ،  
تَتْرَامِي لِلْوَحْشِ نَجُومَهُ،  
وَحْشِ الْأَحْلَامِ الْحَمَقَاءِ  
وَالْحَمَرَاءِ،  
لَا شِعْرَ يُوشِّحُ قَيْثَارُهُ  
بِتَجَاعِيدِ الذَّاتِ الْمَعْدُومَةِ،  
كَالْجُرْثُومَةِ!

ظِلُّ رَابِعٍ

-١-

أَجْسَادُ الْمَوْتِ تَرَاءَى  
أَحْيَاءُ،  
وَالْمَوْتُ رَجُوعٌ مِنْ سَيْنَاءِ.

تتراقصُ أشرعةُ المَوْتِ الخَضِرَاءُ،  
في العَصْرِ الأَخْضَرِ،  
في الأَبَدِ الأَحْمَرِ.

-٢-

كَأَسَانٍ مِنَ الخَمْرِ وَمِنْ جَسَدِ،  
ظَلَانٍ يَمُوتَانِ عَلَى زَبَدِ،  
دَرَبَانٍ يَمُوتَانِ عَلَى مَطَرِ،  
وَجَهَانٍ يَبُوحَانِ مِنَ الجَعْدِ.

-٣-

أَيْتُهَا الأَجْسَادُ المَصْلُوبَةُ  
والأَحْشَاءُ صَلِيبُ!  
أَيْتُهَا الأَيْدِي المَثْقُوبَةُ  
مَا أَنْتِ سِوَى ظِلٍّ

قبور الشهوة

أَوْ خِلٌّ  
زَيْنَ فِي الصَّمْتِ غُرُوبَهُ،  
وَحُرُوبَهُ...

ظِلٌّ خَامِسٌ

- ١ -

غَنَيْتُ دِمَائِي وَدُمُوعِي!  
وَرَسَمْتُ الْبُغْضَ عَلَى حَجْرِي  
أَعْيَادًا..  
وَمَسِيرِي أوتارًا، وَرَجُوعِي  
نَقْشَاتُ نَزِيفٍ فِي أَثْرِي  
أَصْفَادًا.

- ٢ -

طُرُقَاتُ الْأَرْضِ جَرِيحَةٌ  
وَالزَّمَنُ الْأَحْمَقُ عَبْدٌ جَلَادٌ.

والحُبُّ قرايينُ ذبيحَه،  
فزاعاتُ! أوتادُ!

-٣-

الذئبُ يُصارعُ أثوابَه  
وظلالة! في بيتِ العُريِّ وفي العدم.  
في خربِ المنفى وفي الظلمِ.  
إنسانٌ يَصَلِبُ إنسانَه!  
لا ذاته.

والحُزنُ أصابعُ سكرانَه  
لا تغرسُ ورْدَه  
أو تمسحُ دمعَه.  
ألحُزنُ عَجُوزُ شمَرِ زنده،  
غمسه في وحلِ الفجعة.

قبور الشهوة

ظِلّ سادِس

.....

.....

١٩٩٨/١١/١٧

## قصيدة الاغتراب

لا!

لن أتوقَّ إلى..!

لا أريدُ أن...

سُرقتُ من غريبةٍ - غريباً - جَوْهراً وصورَه.

لغة لها أسنانٌ وأظافرٌ حتّى لا أشتاقَ ثانيةً.

بَحثْتُ عنكِ أَلْفَ عامٍ..

واشتقتُ إِلَيْكِ أَلْفَ عامٍ.

إفتحي الدُّرُوبَ وَقَلْبِي الوهادَ والقُرى،

عن الخريفِ الحزينِ،

وناسِكِ مَسحُورٍ في كوخهِ الحزينِ..

تلمّسي حُفَرَ وجهي العتيقة، دَفَنْتُ فِيهَا لُغْزاً يَرَقُصُّ وَاخِرَ

يُجَرِّحُ جِلْدَه.

كان حُبُّ وكان ألمٌ! وحطّمتُ معولَ الرجاءِ.  
غوصي في أقبية أحشائي الخزيّة، رسمتُ على الجدرانِ  
حُرُوفاً  
جُنوناً ومثاليّة، ماءً وسراباً. أضعتُ القفلَ ومزقتُ الخريطةُ.  
هل رأيتِ وجهي؟ ومقلتي الخائفتين؟  
تُرى ما هو ذُعري؟!  
خائفٌ من ثوبي الغريبِ في القفارِ  
والفصولِ اللاهثة  
والأخيلةِ الحجريّة، والحملانِ الممسوخة!  
وهذه القضبانُ القشيّة اطبعيها على غلافِ الحيرةِ والدموعِ،  
تري أنّي خمرّةٌ ذاتي الجديدةُ.

خذلني كلُّ حُبٍّ..  
إلاّ حبّاً..

قبور الشهوة

نَصَبْتُ خِيَمَتِي عِنْدَ مُفْتَرِقِ الْأَزْمِنَةِ الْقَشْرِيَّةِ شَحَاذًا لَيْسَ  
لِقَوْتِ!

مَدَدْتُ يَدِي لِمُسْتَحِيلٍ قِيْلَ يَمُرُّ مِنْ هُنَا  
وَيَحْمِلُ الْحَقِيقَةَ، شَحَاذًا، بَعِيدًا..  
رَاجِعِينَ مِنَ الْاِغْتِرَابِ وَالْمَرَايَا،  
إِلَى الْأَعْمَاقِ وَالْأَشْيَاءِ.

٢٠٠١/٣/٣٠

## الحُبّ

مَمْنوعٌ عَلَيَّ الوجود!

أَتعلمين؟

قلبي لا يَنْزَلُ عَلَيَّ وَجْهَ المَاءِ، وما تَرِينَهُ هو الظلّ.

خاطتُ لي الرِّياحُ أَجْنِحَةً مِنَ الرُّوحِ، ولم تَعْبَأْ لِديدانِ

مَعِدَتِي وَأَمْعائِي.

قِيلَ لي الآنَ بَدْءُ الرِّحِيلِ، وَصَدَّقْتُ. فرميتُ حَقائِبي

فوقَ الرَّمالِ وَمَسَحْتُ قَلْبِي مِنَ العُبارِ وَأَعْلَنْتُ حَرْباً عَلَيَّ

الهُيُولَى.

لَيْتَكَ أَحَبَبْتَنِي مُنذَ أَلْفِ عامٍ..

كانَ الحُبُّ يَجْرَحُنِي بِظَفْرِ كِبْرِيائِهِ، وَكُنْتُ أَسِيرَ الغَبَاوَةِ

والذَّهولِ.

قبور الشهوة

قلتُ له: «أنا عَجَبْتُكَ بأصابعي» فقالَ سَاخِرًا: «أنتَ طِينٌ،  
طينٌ، طِينٌ».

حَبِيبَتِي!

إن أَرَدْتَنِي وافيَنِي عِنْدَ القَنَاطِرِ المُتَيَّمَةِ ولسَ بَيْنَ عَرَائِشِ  
الشُّمُوخِ والأرستقراطيةِ. كانَ جَسَدِي سَاخِنًا مِنَ الجُوعِ،  
وكنْتُ قَادِرًا أَنْ أَحِبَّ أَلْفَ امرأةٍ، ولكنَّ الواقِعيَّةَ سَتَرَتْ  
جَمَالَكَ عَنِّي وَغَيَّبَتْكَ فِي سَرَابِهَا المُتَجَهِّمِ.

أقولُها الآنَ:

«أحِبُّكَ»

لقد استطالَتْ جُفُونِي حَتَّى لَامَسَتْ الأَرْضَ. وَمَسَحَتْ  
أنا مِلَّ اللَّيْلِ نَزِيفَ حُبِّي، لقد تَقَمَّصَنِي الحُبُّ.

من أينَ جئتِ؟

كيف طلعت؟

تأخرت كثيراً. كثيراً! ممنوع عليّ الوجود، قلبي لا ينزلت  
على وجه الماء، وما ترينه هو الظلّ.

«أحبك»

أفجر بها الجبال والبحار والرياح، وأعلن بها هويتي أمام  
الناس: «أنا غريب يا قوم، وسترت عنكم غرابتي دهرًا في  
المدن التي يُسنى فيها الغرباء، ويسحق الخزف ابن طبيعتي  
الطينية، ويحرق الرماد شريك حقيقتي الرمادية».

«أحبك»

بالطين والتراب والرماد، أنا ناز و تراب.  
أحبك بالوجود والنمو والحياة، وأنا شوق وانجذاب.  
أحبك بالصورة والجوهر، فأنا شعر وتكامل وتسام.

قبور الشهوة

أَحِبُّكَ لِأَنَّكَ ابْنَةُ السُّلَالَةِ الْعُلَوِيَّةِ، نِصْفُكَ رِيحٌ وَنِصْفُ  
غُبَارٍ.

أَحِبُّكَ،  
لَأَنِّي شَاعِرٌ مِنَ الْمَطَرِ، وَأَنْتِ قَصِيدَةٌ مِنَ التُّرَابِ.

أَحِبُّكَ.

٢٠٠١/١١/١

## الشحاذ والرّائي

ويحي أنا الإنسان الشقيّ من يُنقذني من جسدِ هذا المَوتِ

رسالة رومية ٧:٢٤

عند شاطيء الظلالِ وهي الحقيقة! وقف مُخيفاً،  
جَمِيلاً.

له جناحان صارعا الأفق، وقلبٌ صغيرٌ كالعمالقة.  
يدُه صلّبتها حُرُوفٌ بلا جسد. إنه أطيافٌ حرّضتها وعودٌ  
من الدّماء، ونازٌ بعثرتها عيدانُ اليقين. يثلمُ الرّمالَ بالتهابه  
ويُعاشقُ الصُّخُورَ، حتّى غاصَ تحدياً مع المويجاتِ في  
الأخاديد.

هكذا هو! هنا.. من هناك!  
قوسٌ وملحٌ دُموع. أنا هو في المرآة.

في داخلي شحاذٌ تجرُّه أنسامُ الحاجةِ وتصرعه. اللقمة  
عنده خشبةٌ مُجرّحة! والأرضُ سماء... .

ليسَ كالرَّائي عندَ شاطيءِ الظلالِ وهي الحقيقة!  
واحدٌ يستلذُّ عصفَ النسورِ وآخرُ تأكلُهُ ديدانُ الشهوة.  
واحدٌ يغترّبُ وآخرُ يعودُ، واحدٌ يحيا وآخرُ يموت.  
تلاقياً. تعانقاً. تباعضاً كحُبِّ الصُّورةِ للجوهرِ، كلُّ  
منهُما شيءٌ في الآخرِ آخرُ، وللآخرِ فصلٌ.

وجدتني عند شاطيءِ الظلالِ وهي الحقيقة / رائيًا  
وشحاذًا.

أنا روجي / مبيع... أنا أنشودة غريد لصياد الغابات.  
أنا مشحد سكين للجسد الأثري العفيف. ذهني ذليل  
الحروف ولحمي طعام غريب / مذبخ خيام بين عاي وبيت  
إيل / أحترق فوق رماد غياتي، وأشوق الدخان يمامات  
بُشرى ومرساة نجاه.

٢٠٠١/١/٣١

## قبورُ الشهوة<sup>(\*)</sup>

مُسَافِرٌ مِنَ اللَّيْلِ الْفِرْعَوْنِيِّ إِلَى سُبَاتِ الذَّاتِ!  
مِنَ الضَّجِيجِ إِلَى السَّكِينَةِ.  
حَطَّمْتُ سَلَّاسِلَ النَّيْلِ الزَّرْقَاءِ،  
وَتَرَكْتُ وَرَائِي رَقْصَ الْجَسَدِ وَبُكَاءَهُ،  
وَأَمَامَ عَيْنِي تَتَغَاوَى أُخَيْلَةُ الْقُبُورِ الذَّهَبِيَّةِ.  
هُنَاكَ!

حُلْمِي مُتَيْمٌ...

حُلْمِي الْمَرِيضُ تَعَافَى!

حُلْمِي الْيَتِيمُ تَهَاوَى بَيْنَ أَشْدَاقِ الْفَرَاعِ الْفَجْرِيِّ الْجَمِيلِ.

---

(\*) فدُعِيَ اسم ذلك المكان قبروت هتأوة لأنهم هناك دفنوا القوم الذين اشتهوا، سفر العدد ١١: ٣٤.

قبور الشهوة

حُلْمِي يُعَانِقُ عَيْنِي،

يُلَوِّنُ عَيْنِي!

فإذا أمامهما تتجسَّسُ... تتماهى... أشباحٌ بعيدة...

في الأرضِ الذهبيَّةِ البعيدة،

في بلادِ الرُّوحِ،

في شُبُوبِ التَّكثُّفِ والمَلْمُوسِ،

في سُجُونِ الأنا بينَ أَكْفِ المَطْلِقِ والقَدِيمِ.

بالأَمْسِ خَمَسَ خَدَّهُ، أُمْسِي!

ومَزَّقَ ثوبَهُ، وخَصَّبَ قلبَهُ، وفَضَّ جلدَهُ،

وتدَثَّرَ بعباءةِ الفراغِ الفجرِيِّ الجميلِ.

هُنَاكَ!

ذبائحُ حَيَّةٍ! حِجَارَةٌ حَيَّةٌ واجمَّةٌ خرساء!

هُنَاكَ ذَبَحْتُ أُسْرِي فوقَ رَمَالِ الانعِثاقِ،

خَبَّأْتُ ذَاكِرَتِي فِي صَنَادِيقِ الاغْتِرَابِ،

بَعَثْتُ آثَامِي رَمَاداً وَرِياحاً، وَدَفَنْتُ عِظَامَ فُجُورِي

فِي القُبُورِ الذَّهَبِيَّةِ.

## القبر الأول

حَجْرٌ أَسْوَدٌ غَرَقَتْ ظِلَالُهُ فِي تَرْبَةِ أَيْمَةٍ،  
ذَرَاتُهَا شَهْوَةٌ لَفَطَتْ نَزْعَهَا الْأَخِيرَ مَسَاءً،  
حَيْثُ الْجَسَدُ يَقْرَعُ جَسَدًا آخَرَ...  
يُولَدُ فِيهِ! يَمُوتُ فِيهِ!  
وَالشَّرُّ يَخْلُقُ الْجَسَدَ لِيَمِيتَهُ ثَانِيَةً.

## القبر الثاني

خِلْتَنِي الرِّيحُ..  
لَا يَكُلُّ لِي جَنَاحَ،  
وَلَا تَجْرَحُ حُرِّيَّتِي أَنْيَابُ الْأَسْرِ.  
وَلَكِنِّي الْوَهْمُ! شَبَّحُ فِي مِرَاةٍ!  
وَيَدُ الْحَيَاةِ الْقَوِيَّةِ حَطَّمَتِ الْمِرَاةَ.  
وَتَلَاشَى الظِّلَّ.

### القبر الثالث

أَصْبُ الْمَاءِ الْأَسِنَ فِي كَأْسِكَ،  
وَكِلَانَا شَارِبٌ مِنْهَا!  
وَالدَّمُ الْحَقِيرُ الَّذِي يَجْرِي فِي عُرْوَقِي يَجْرِي كَذَلِكَ  
فِي عُرْوَقِكَ.  
وَالعَيْنُ الَّتِي تَنْظُرُ بِهَا هِيَ عَيْنِي.  
وَتُوبِي الَّذِي لَامَسَ أَنْفَهُ الرِّيحَ هُوَ تُوْبُكَ.  
كِلَانَا سَارِقٌ مُجْرِمٌ!  
وَمَا سَرَقْنَاهُ حُلْمٌ.  
وَلَكِنَّ الْمَقْصَلَةَ الَّتِي تَنْتَظِرُنَا حَقِيقَةٌ.

### القبر الرابع

لَسْتُ نَسْرًا بَيْنَ الْكَوَايسِرِ،  
وَلَا زَنْبَقَةً بَيْنَ الْحَشِيشِ وَالْأَشْوَاكِ.  
أَنَا أَعْمَى يَقُودُ أَعْمَى، وَالْحُفْرَةُ بَانْتِظَارِنَا.

قُبُورُ الشَّهِيَّةِ

وَأَنَا الْمَرِيضُ يُدَاوِي مَرِيضاً،  
وَالْمَوْتُ مَضْجَعُنَا الْقَدِيمَ.

١٩٩٨/٢/٢٢

## تقاطع

عندما يتحوّل الألق الحارّ إلى وجودٍ جليديّ، ويتلاشى  
الابتسَامُ في الدوائرِ المُشتعلة، يخرجُ من قمقمه ويتماردُ ثمَّ  
يموت.

عندما يتحوّل التنفّسُ إلى مأساة، والمشيُّ يُحاكُمُ في  
القصورِ الملعونة... يرفُّ له جناحٌ عندَ صخرةِ القمّةِ وينزفُ  
ومضاتٍ أخيرةً ويدوب.

تنزاحمُ الخطواتُ والأجنحةُ في أحشائه حتى بثت  
سُمومها في أقصى امتداداتِ ظلاله، وعلقتَه بينَ الرّيحِ  
والترابِ أشلاءَ ضوء.

قبور الشهوة

تشدُّه اللَّيالي بتاريخِها إلى أسفل، وينغمسُ خِداغُ  
الأيامِ في لحمه ويبعثه نبيًّا مذعوراً أمامَ الأزمنةِ الصنميَّةِ  
المُتألِّهة.

يبحثُ عن بُقيا مَلِكٍ في الصُّندوقِ الحديديِّ، ويركضُ  
وعلى وجهه دموعُ طفلٍ في زاويةٍ مُظلمةٍ صامتة.

عندما تأتيه نوباتُ الذكاءِ القليلةِ يُعالجُها بجُرعةٍ  
واحدةٍ من التَّسليمِ والسُّكوتِ. وعندما ينفجرُ في قلبه حينُ  
فلكيَّ ينشطُرُ اثنين / حَقِيقَةً ومِراةً، آثِراً وأفقاً / ويُغازلُ  
جَبِينَهُ الأفقَ دَمَعَةً وابتِسامَةً، وتغوصُ قدمُهُ في الأرضِ دَمَعَةً  
وابتِسامَةً.

٢٠٠١/٨/٣

## الليل

أتعلمين أن الليل أثيمٌ جداً كحنينِ الأقوياءِ وأشواقِ  
الظالمين؟  
الليلُ أثيمٌ جداً كحُبِّ يفتش عن حُفْرِ الكبرياءِ ليتبعثرَ  
فيها، وكالشمس التي خنقت نفسها عندما رأت نارَ أحشائي  
المتقدة.

يُحبُّني الليل...  
يُحبُّني حتى أنه يجرُّ رُؤايَ فوق حصى الطبعياتِ  
الصَّامتِ / المُفحمِ.  
يُحبُّني كرقصِ الماءِ على ورقاتِ مدعورة. كبائعةٍ  
هوىً أغرمتْ بجسدِها حتى ذبحتْ وريدها.

يُحِبُّنِي اللَّيْلُ .. نَعَمْ .. وَلَكِنِّي لَا أَثِقُ بِهِ .  
لَقَدْ رَسَمْتُ عَلَى أَقْرَاصِ ضَمِيرِهِ ظِلَالاً وَخَطُوطاً ،  
فَإِذَا بِهَا هِيَ كُلُّ رَمَادٍ وَرَمَالٍ مُتَنْصِبَةٌ عَلَى الْمَفَارِقِ وَفِي  
السَّاحَاتِ . وَهَمَسْتُ لِحَنًا كَثِيبًا فِي أَمْسِيَّةٍ مَاطِرَةٍ ، فَخَطَفْتُ  
أَجْنِحَةَ الرِّيحِ نَعْمَاتِي إِلَى التَّخُومِ .

لَا ! لَا أُرِيدُ أَنْ أَحْبَبَكَ فِي اللَّيْلِ . أَخَافُ عَلَيْكَ مِنَ اللَّيْلِ .  
اللَّيْلُ جَبْرُوتٌ خَجُولٌ كَمِرَاةٍ رُوحِي وَقِيَارَةٌ مَخْفِيَّاتِي .  
سَابُوحٌ لَكَ عِنْدَ الشُّرُوقِ .. فَأَشِعَّةُ الصَّبَاحِ صُنْدُوقَةٌ  
أَشْيَائِي .

لَا أُرِيدُ أَنْ أَحْبَبَكَ فِي اللَّيْلِ ، سَاقِفٌ مُتَنْظِرًا عِنْدَ مُنْعَطَفِ  
المَوَاقِيتِ ، وَسَارَاكٍ سَكُونًا مِنَ الضَّجِيجِ ، وَسَتَعْرِفِينِي  
تَوْهَجًا فَوْقَ التَّرَابِ .

ما زلت كوباً صغيراً... وأنا وجودي كثيفٌ حبكتهُ  
أصابعُ غليظةٌ وزيتتهُ خواطِرُ حديديةٌ، وسمرتهُ حكمةٌ جبارةٌ  
عجوز.

إرفعي الحجابَ القرمزيَّ المهيب، مزّقيه، وانظري  
وراءه.. هناك.. على الأدرجِ لا تزالُ آثارُ ظلالِ كأسِ  
زُجاجيةٍ صغيرة!

أحبُّ أن تمتدّي لا أن تنفجري! تستطيعين الامتداد.  
عاجزٌ أنا عن التقلُّصِ. وكم سيكونُ الليلُ قاسياً إلى أن  
تتوحَّد الأجزاءُ وتنضجَ المشاهد.

أتعلمين؟ أنتِ وأنا والليلُ ثلوثٌ غريب. نتشابهُ!  
نتواعدُ! نتصارعُ ونتعاشقُ، هكذا ضلوعُ المثلثِ مُتباعِدةٌ  
مُتلاصقة.

قبور الشهوة

أنا أَحَبُّتُكَ... وكانَ الحُبُّ لِكَ حُبِّ الصُّورَةِ للجَوْهَرِ،  
وعندما أَبغضتُكَ.. كانَ البُغْضُ بُغْضَ الجَوْهَرِ للصُّورَةِ.  
أَحَبُّتُكَ حُبَّ الحُرُوفِ للمَعانِي، وَأَبغضتُكَ بُغْضَ المَعانِي  
للحُرُوفِ. أَحَبُّتُكَ حُبَّ القَوافِي للشُّعْرِ، وَأَبغضتُكَ  
بُغْضَ الشُّعْرِ للقَوافِي. لذلكَ، لا أريدُ أنَ أَحَبَّكَ في اللَّيْلِ،  
ساقِفُ مُنتظراً عندَ مُعطَفِ المَوَاقِيتِ، وسأراكِ هُدوءاً منَ  
الصَّجِيجِ، وتبصِرِني توهُّجاً فوقَ الترابِ.

أجل،

سأبوحُ لِكَ عندَ الشُّرُوقِ... فأشعُّ الصِّباحِ صُنْدُوقَهُ  
أشْيائِي.

٢٠٠٢/١٠/٢٣

## مُستديرة

وَجْهِي نَزِيفٌ أَنَا.. مَاتَتْ سَوَاكِبُهُ  
وَالفِكْرُ أَعَيْتَ عَلَيَّ جَرِي مَذَاهِبُهُ

أَذِيعُ بَوْحِي عَلَيَّ سَمْعِ المَلَا، فَأَنَا  
أَشْلَاءُ فَجِرْ غُرُوبِي مَوَاكِبُهُ

تَغْوِصُ فِي رُؤْيٍ حَتَّى تَعَالِقَنِي!  
كَالبَازِ تَجْرَحُ أَحْشَاءَ مَخَالِبُهُ

عَلَى الشَّوْطِي البِعَادِ السُّمْرِ تَشْهَدُنِي  
طِفْلاً... يُغْنِي لَه الأَحْزَانِ قَارِبُهُ

وفي الذُّرَى، في خَرِيفِ المَاءِ تعرِفُنِي  
شَيْخَانِيبًا تَغَاوِيهِ تَجَارِبُهُ

وفي المَدَائِنِ قلباً سَابِحاً فَجَرَتْ  
وَعَادَرَتْهُ عَلَى كُرهِ مَوَاهِبُهُ

وفي الوَهَادِ شُرُوداً جَدُولاً زَحَلَتْ  
عَلَى اللُّجَيْنِ مَوَاعِيدُ ثَلَاغِبُهُ

صُلِبْتُ فَوْقَ مَضَامِينِ! أَكُونُ لَهَا...  
عَلَى جِدَارِ ثُدَّتِيهِ ثَعَالِبُهُ

عَلَى حَنِينِ تَجَاوِيدِ! يَلُودُ بِهَا،  
وَرَقِصُ دَمْعِي عَزْفُ اللَّيْلِ شَارِبُهُ

بَيْتُ الْهُمُومِ وَرَائِي فِي الْبَعِيدِ وَفِي  
يَدِي الْمَرَايَا الَّتِي تَبْقَى تُرَاقِبُهُ

لِذَاكَ يَشْحَذُ حُبُّ فِي مَدْيَتِهِ  
وَالْبَرْقُ فِيهِ.. وَصَمْتُ الْعُمُقِ حَاجِبُهُ

يَقُولُ جَوْفِي... وَتَمَحُّو الْقَوْلَ غَطْرَسَةً...  
وَالآنُ تَلْدَغُهُ دَوْمًا عَقَارِبُهُ

سَأرْتَمِي بَيْنَ أَوْرَاقِ الْمَعَادِ يَدًا  
تَبْكِي! وَسَطْرًا.. مَدَادُ الْغَيْبِ كَاتِبُهُ

وَهَارِبًا مِنْ وَحُولِ الذَّاتِ مُذْ فَتَنَتْ  
وَلَوْنُ ثَوْبِي مَوَاهِيْمٌ تُشَاحِبُهُ

قبور الشهوة

والشَّوقُ بَيْنِي وَبَيْنَ الرِّجَاءِ دُنِيَّ  
وفوق رَمَلِ الرُّؤْيِ تحنو مَرَاكِبُهُ

سَأرْتَمِي عَارِيًّا مِنْ صُورَتِي ابْتَعَدَتْ  
لتستديرَ هَوَى بَانَتْ غَرَائِبُهُ

أدورُ هَامِشًا صَوَّبَ الحَقِيقِ وَذَا  
تَنَاهَشْتُهُ ظِلَالٌ لَا تُحَازِبُهُ

٢٠٠٣/٤/٣

## الشارعُ في مدينتي

لقد عرفتهم.

أنا رأيتهم يَجْرُونَ أسماءهم بحبالٍ رثةٍ مُتهرئة،  
ويبحثون عن اللحمِ والعِظامِ في الأقبيةِ المَخْفِيَةِ المَوَاتِ.  
عَرَفْتُهُمْ ضَيَّعُوا قَطْرَاتِ نَادِرَةٍ تَبَعَثَتْ عَلَى الأَرْضِ صَفَةَ  
المُتَسَخِّخَةِ، ولبسوا الظَّلَالَ في اللياليِ الكثيفةِ الثقيلةِ...  
لَهُمْ فَوْقَ السَّرَابِ رُؤْيٌ مُذْهَبَةٌ مُرْكَشَةٌ وَعَلَى الجُلُودِ  
البَهِيمِيَّةِ حُرُوفٌ مِنَ الزمردِ والياقوتِ.

هكذا الشارعُ في مدينتي.

أراهم كلَّ يومٍ يقصِفونَ باكين، ويدهشونَ هاربين إلى

قبور الشهوة

الماضي / المستقبل.. إلى الأروقة العتيقة الخاوية ليشربوا  
جُرعةً من الزمان، فيظنّوا أنهم سكارى وهم كاذبون حتى  
عندما يتشاءبون ويتنفسون.

هكذا الشارحُ في مدينتي .

يمرّون بي - فيّ - يخترقون الهولى ولا يبصرون...  
أحادثهم وأنادي، فتمتصّ كلماتي وأوجاعي قطعةً  
من الإسفنج خُبئت مع النقود لمسح الغبار عن الأشياء.  
أبكي فتمسح دمعاتي أنسام الفجر. وتُحرق عيني رقصاتُ  
الغروب المجنونة. أضحك فتكتبُ من أجلي الشواطئ  
والصخور، وتسخرُ الأمواج المريضة في عمق البحر.

أبغى وأرجو وأتمنى... فينتصبُ السيافُ المجهولُ  
أمامي وفي قبضته لمعة شهوة نجسة لذبح الأجنحة

الطَّفُولِيَّةِ السَّادِجَةِ. عِنْدَهَا تَتَحَوَّلُ الْأَطْيَافُ إِلَى مَاءٍ قَاتِمٍ  
مُقَدَّسٍ، وَيَمُوتُ الْجَوْهَرُ لِيُبَعَثَ بَعْدَ حِينٍ.

هكذا الشَّارِعُ فِي مَدِينَتِي.

الشَّارِعُ فِي مَدِينَتِي يَتَمَدَّدُ وَيَتَقَلَّصُ، يَتَبَعَثُ وَيَتَوَحَّدُ،  
يَتَعَمَلِقُ وَيَتَقَرِّمُ، يَنْتَفِخُ وَيَضْمُرُ عَلَى أَنْعَامِ ضِحْكَاتِ الطِّفْلِ  
الَّذِي يَلْعَبُ وَيَتَعَفَّرُ فَوْقَ الرِّمَالِ الصَّامِتَةِ، وَيَنْشُدُ المَاهَوِيَّةَ  
فِي دُرُوبِ الاغْتِرَابِ الخَادِعَةِ.

الشَّارِعُ يَتَطَوَّرُ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَا قَبْلَ التَّارِيخِ.. لِهَذَا  
يَجْهَلُنِي أَنَا المَقِيدَ بِسَلْسَلِ الرَّجْعِيَّةِ المُتَحَضِّرَةِ، أَلْمَلِمُ  
هَزِيمَتِي وَغُرْبَتِي، وَأَعِيشُ تَفَلْسُفًا فِي فِرَاغِ العَقْلِ، وَوُجُودًا  
فِي فِرَاغِ الوَهْمِ.

قبور الشهوة

الشارع في مدينتي مراكب تتوَحَّل مدفوعةً نحو الضوء  
المُكْتَظُّ بقطعانِ الوحدةِ والدَّهْشَةِ.. مشيتُ وحدي - فريقياً  
- يحفرُ لنفسه نُقْراً في ترابِ الأخيْلَةِ والشكوكِ. ينكسرُ  
التوهجُ الداخليّ ويتمطّي فاتِحاً جُرحاً ربَطتهُ إبرةُ الأيامِ،  
كالعادة.

جُرْحِي تافهُ حتى تشامخَ على الطَّبِّ الحديثِ!  
ووجعي صامتٌ حتى أنَّ الأزهارَ المراهقةَ شعرتُ به. لماذا  
أنا أنا؟ ألا يُمكنُ أن...؟ واللّا ينتشلي من الآنِ والأنايية؟  
ألا يُمكنُ أن أعرفَ؟ قل لي وأرحني واسجني في قفصِ  
الوضوحِ فقد وجدتُ لقلبي هناك مؤنساً لا يخون.

٢ حزيران ٢٠٠١

## الأرجوحة

في الأقبية المخفية تتمخض الدماء لتضع مولودها  
على الأدرج المتألقة.  
كثيفة هي أزممتي! أرقُّ من الأطياف! وثقيلة جداً  
كومض الأفكار.  
دامعة هي الثواني كصرخات الوليد، ودواخلي  
السكرى علقت فوق أخشاب الحتميات...

أعيش أحياناً وأصابني تحرُّبُ التراب. أتناولُ فنجاناً  
من القلق عند الصباح. أراقبُ جماع الساعات مكرهاً،  
وأمجُّ من فمي المرَّ بسرورٍ يشبه بوحاً لحبيبٍ أول مرة.

قبور الشهوة

هكذا تتوالت المواقيتُ وتسطو وتنتصرُ، وتسرقُ  
الأناملُ التراب، وتعدو الأقدامُ في الوحول. هكذا تلتصقُ  
الظلالُ بالأجسادِ وتجرفُ الجفونُ المشاهدَ المُسنَّنة.  
هكذا تموءُ قِططُ الظلامِ من التخمَّة، وهكذا تحترقُ الدفاترُ  
والأوراقُ شوقاً إلى عابرٍ باحثٍ عن الحبِّ.

فوق الممرِّ الطويلِ علقتُ أرجوحتي!  
كلَّ يومٍ أرى الأشياءَ نفسها..  
كلَّ يومٍ يغزوني الحنينُ عينه..  
كلَّ يومٍ تحبُّلُ مخيلتي بالتوائِمِ المُتشابهة، وترمي بها  
بينَ عرَباتِ الواقعيةِ المُتدائبة.

من الأقبيةِ الشاحبةِ تماوجتُ ضحكائهم عبرَ الطريقِ  
البعيدة، لا يثنىها أنينٌ، تنهارُ العزيمةُ أمامَ غبارِ مناجفها،  
وتذوبُ الشجاعةُ فوقَ اللهبِ.

فوق المَمَرِّ الطويل أرى أحشاء القناطر الخبيثة...  
يرسُمُ الحقدُ الضاحكُ خريطةَ عدمِهِ، ويرصُفُ الرؤى  
غلالةَ حمراءَ كما تشربُ الرِّيحُ هَضباتِ الرِّمالِ لتلفظها في  
بُقعةٍ أخرى.

فوق المَمَرِّ الطَّويلِ أرى الأجوافَ المَمسوخة... بعضاً  
من ذئب... بعضاً من آدمي... مكفوفاً كالحقيقة. مُدَمِّي  
كانعِاقٍ. طليقاً كالمسبيِّ. جديداً كلفائفِ الكهنةِ الأفريقيَّة.

عندما أنظرُ إلى أسفل لا أرى ظلالاً لي! لقد اخترقني  
الشُّعاعُ حتى أذابني.  
وعندما أنظرُ إلى الشمس تشدُّني كثافتي إلى تحت،  
حُكِمَ عليَّ بالشَّوقِ والأحلامِ مدى الامتداد.

قد يكونُ العقابُ قاسياً بالحرية! والحريةُ جميلةً

قبور الشهوة

بالسبي الطويل! وأعذب المشاعر قلب لا يشرب الحلاوة  
ولا يمضج الملح الأجاج. وأروع الحياة استغراق في الموت!

أرجوحتي لا تهدأ، والامتداد بعيد... بعيد جداً.  
وتدور رحي الأيام والليالي فوق حبات أشواقي  
وتغرّبي، بغطرسة وشموخ.  
وأنا الذي آثرتُ وأد أجتتي على تنشي الريح تنشياً  
مسموماً، وقطع أوتاري على عزف النغمات المجروحة،  
وكسر ريشتي عند وجوه لا تكتمل قسماتها...

هكذا... عيناى غائبان لفجر وعيد.

٢٠٠٢/٩/٢

## قطراتُ رمالٍ كبيرة

وحيداً... أحاولُ أن أنظمَ نبيئَةً، أن أكتبَ ثلماً ما!  
أحاولُ أن أحقنَ الأذنانَ سمعاً ما.. أو تريباقاً ضدَّ الذَّهولِ  
والتواؤد. أحاولُ أن أصنعَ سوطاً من الخجلِ وأبعدَ الأوهامَ  
خارجَ الهيكلِ. وحيداً أريدُ أن أصلبَ الظلالَ فوقَ عودِ  
الوجودِ الحقِّ، وأدفنَ الضَّجيجَ في مقبرةِ الأحشاءِ الساكنةِ.

أنا رأيتُ ولا أريدُ أن أبصر... جبينُ الصَّباحِ تجعَّد،  
والليلُ نزاعٌ وجُوديُّ، وأفواهُ الإمبرياليَّةِ لا تتنفسُ ولا  
تتكلمُ! والكبرياءُ الغريبةُ تحمِلُ شموعاً لا تضيء! ولكنها  
تسكبُ زفرتها الحارقةَ في عيونِ البراءةِ، وتنطفئُ قطراتِ  
رمالٍ كبيرةً على الرِّصيفِ.

وَحِيداً... كإِنْسَانٍ بِدَائِيٍّ أَطْحَنُ كَلِمَاتِي وَأَجِدُّ  
صِنَاعَتَهَا، مَعِدِنًا صُلْباً فِي الزَّمَنِ الْمُتَمَعِدِنِ الرَّاحِي! سَمَّتْ  
تَخْلُفِي... لَقَدْ تَشَابَكَتِ الرُّمُوشُ وَصِرْتُ عَاجِزاً عَنِ الرَّوْيَةِ،  
وَتَلَا حَمَّتْ شَفْتَايَ وَلَا أُسْتَطِيعُ الْكَلَامَ، وَشَرَّشْتُ قَدَمَايَ  
فِي تَرِبَةِ بَرِّيَّةٍ قَصِيَّةٍ. حَتَّى زَارَ الْمَجْهُولُ عَلَيَّ غَيْرَ انْتِظَارٍ!  
وَتَفَجَّرَتْ مَعَهُ أَعْمَاقٌ فِيَّ فَرَأَيْتُ وَصَرَخْتُ وَعَدَوْتُ!  
وَلَكِنَّ الْأَشْيَاءَ تَلَا شَتَّ.. وَلَا أَرَى بَشِراً أَحَادِثَهُمْ! وَرَجَلَايَ  
تَدُوسَانِ الْفِرَاقَ بَرَجَعِيَّةٍ مَقِيَّتَةٍ لَا تَحْيَا وَلَا تَمُوتُ، كَشَمُوعٍ لَا  
تَضِيءُ بَلْ تَسْكُبُ زَفْرَاتِهَا الْحَارِقَةَ فِي عَيُونِ الْبَرَاءَةِ، وَتَنْطَفِئُ  
قَطْرَاتِ رَمَالٍ كَبِيرَةً عَلَيَّ الرَّغِيفِ.

وَحِيداً أَحْلَمُ.. وَأَحْلَامِي كَوَائِسُ أَمَانٍ عَذَابٍ. أَحْلَمُ  
وَرُؤَايَ تَوَازِي الْمُحْتَوَمَ وَلَا تُقَاطِعُهُ. وَأَشْوَاقِي انْسَلَخَتْ  
مِنِ اللَّوَاعِجِ التَّحْتِيَّةِ الْمُلوَّثَةِ. هَكَذَا رَأَيْتُ فِي الْحُلْمِ:

أثَلَجَتْ فِي مَدِينَةِ التَّوَهُجِ! وَسَقَطَتْ نُتْفٌ مِنَ الْفِضَّةِ الْأَلْيَقَةِ  
عَلَى سَطُوحٍ تَشَاوَقَتِ الْجَحِيمَ مِنْ فَوْقٍ. وَتَزَيَّنَتِ الرُّمُوشُ  
وَالْأَنْوْفُ بِلَوْنٍ مُخِيفٍ مِنَ السَّحْرِ. وَخَارَجَ الدَّوَائِرُ هُنَاكَ..  
تَتَصَبُّ حَدَائِدُ التَّبَسُّمِ الْخَبِيثِ وَالْهَوْلُ فِي خَبِيَّاتِهَا، لَقَدْ  
هَدَمَتِ الْأَحْلَامَ وَانْشَادَتْ بَدَائِلَهَا. وَلَكِنَّ الْأَطْفَالَ غَرَفُوا  
مِنَ الْفِضَّةِ وَالسَّحْرِ بِأَيْدِيهِمْ وَنَامُوا فِي السُّكُونِ اللَّطِيمِ  
وَأَذْرَعُهُمْ مَلَائِكَةٌ، وَعَيُونُهُمْ جُوعٌ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي لَمْ  
تَصْدُقْ مَعَهُمْ لَيْلَةً وَاحِدَةً.

هَكَذَا رَأَيْتُ فِي الْحُلْمِ: تَشْتَعِلُ قَبْلَةَ التَّوَارِيخِ حَيْثُ  
نَامَتِ غَرَائِبِيَّاتُ الشَّوْقِ فِي حُبِّ أَسْهَابِيَّ حَجَرِيَّ جَدِيدًا!  
عَشْتَارُ اعْتَادَتْ آدُونَ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ... وَالتَّحْذِيرُ الْبَرِّيَّ  
شَادَهُمَا قَبْرًا لَوْفَاءٍ جَلَادُوهُ الذَّاتُ وَالْخَوْفُ وَالْمُغَايِرَةُ.  
كَانَ امْتِدَادًا حُلُومًا مِنَ الْغَرَامِ مَدِيدَ التَّكَوِينِ وَالْأَسْرَارِ

قبور الشهوة

العميقة الخبيثة في تقاسيم الطيور وتجاويد الرعاة وأماني  
المراهقات الساقيات.

ولكن آدون غاب! ودمأؤه زحلت لونا وقورياً نحو  
الخليج. ومسحت عشتار عند النهر وجهها بالدماء الشهية  
فصارت ماء صافياً أزرق.

عشتار تذكر شبابها وتذكر آدون، وهي الآن عجوز  
مُتعبة بعشيقها الجديد العجوز هو الآخر! وهو لا يهوى من  
النساء غير الهرمات المترهلات.

أيضاً أنا رأيت في الحلم: قطرات تمتد ورمال تزداد  
جفافاً. بسّمات مكابرة ودمعات حقيرة.. مرآة مُستطيلة  
ترسّم الرجل مُستطيلاً.. والمُستديرة تُظهره دائرياً..  
سيجرفهم نهر اصطناعي حديث! ويأكلهم كائن لحمي

قبور الشهوة

كهربائيّ! والزَّمنُ الأخيرُ سلاحٌ خبيثٌ يُبقي الصُّورةَ  
فقيدةَ الهويّةِ والجوهرِ، وسيغرقُ الرُّوحُ في قطراتِ رمالٍ  
كبيرةٍ وينتهي العصرُ البدائيُّ في الفجرِ المسائيِّ.

٢٠٠٣/٥/٢٣

## هَذيَانِ عِنْدَ قَبْرِ أَيُّوبَ

الْفَرْحُ أَلَمْ يَهْذِي، وَالسَّعَادَةُ كَابَةٌ فِي الْمَنْفَى.

غَنِيْتُ أَوْهَامَ الصَّبِيِّ الْفَاسِقِ  
وَنظَمْتُ نَارِي مِنْ طِيُورِ الْبَاشِقِ

وَجَرَعْتُ خَمَرَ الْفَيْلَسُوفِ تَشْرُدًا،  
وَتَمَرَّدًا مَاءَ النَّبِيِّ الْمَارِقِ

وَلَكُمْ بَحْثٌ عَنِ الْهَوَاجِسِ فَارْتَمَتْ  
أَشْبَاحُهَا فِي مُخْدَعِي كَحَقَائِقِ

وَعَدَوْتُ فِي الْمَرَجِ الْغَوِيِّ فَمَدَّنِي...  
وَصَعِدْتُ أَبْرَاجَ الْقَرَارِ الشَّاهِقِ

ظَلَمَاتُ فَجْرِي حَطَّمَتْ أَدْنَانَهَا،  
وَالْجُرْحُ مِنْ ضَحِكِ النَّبَاتِ الْبَاسِقِ

آثَارُ أَقْدَامِي هُنَا.. وَأَصَابِعِي  
فَوْقَ التَّرَابِ، وَدَمْعَتِي وَيَّارِقِي...

الْحُبُّ وَالْأَرْحَامُ وَالشُّعْرُ الَّذِي  
نَزَفَ الْفِرَاغُ لَهُ، يَمُوتُ كَبَارِقِ!

أَهْ أَنَا! تَحْتَ الْمِيَاهِ تَمَاوَجَتْ  
أَشْلَاءُ وَجْهِي وَالزَّمَانُ وَمَا بَقِيَ...

قبور الشهوة

أه! تُراني مُنذُ ما صَحَبَ القَدِيمُ  
أَضَعْتُهُ؟ وَأَضَعْتُ كُلَّ مَفَارِقِي

أه! أَسِيزِيفُ أَنَا؟! وَظِلَالِي  
الْحَمَقَاءُ مِنْ هُدْبِ النَّسُورِ لِسَاحِقِ؟!!

أه! تَقَعَّرَ فِي الكِيَانِ تَوَجُّعٌ،  
وَائْتَانَ فِي ذَاتِي نَزِيفٌ خَوَافِقِي

أَلَمْ أَنَا! أَلَمْ وَجُودِي لَا اكْتِمَالَ  
وَصَخْرَتِي وَتَجَارِبِي وَمَشَانِقِي؟!!

فَأَنَا الغَرِيبُ عَلَى مِيَاهِي مِثْلَمَا  
حُبُّ غَرِيبٌ فِي مَرَايَا العَاشِقِ

١٩٩٨/١١/٤

## تغيير

هَشَمْتُ أَوَاخِرِي وَكَذَا الْأَوَائِلُ  
وَحَسْبِي ذِي الدَّرُوبِ وَذِي المَرَاجِلُ

فَمَا تَغْفُو اللَّيَالِي مِنْ بُعَادٍ  
لَأُتْرَعَ بِالْوُصُولِ وَبِالْمَنَاهِلُ

هُوَ فِي مَسْمَعِ الدُّنْيَا حَنَانٌ  
يُغْنِي لِلصَّحَارَى وَالجَدَاوِلُ

وَمَا ذَاتِي سِوَى قَفْرِ جَمِيلٍ  
تَوْشَّحَ بِالجَمَالِ وَلَا يُجَامِلُ

أفتتس عن ظلالِي في فراغٍ  
وأرحل عن وجودي وهو غافل

تُرى، أنا غيرُ أغنيَةِ التناهي  
تُغطي الرِّيحَ بالدمعِ الهوامِل؟!!

أنا شبقٌ يرفُّ على سُفوحِ،  
وطيرٌ قيدهُ نَسَمُ الخمائلِ

أنا سيفٌ توجَّعَ في قرابِ  
ومارشفتُ لِمَاهُ دَمًا مُقاتِلِ...

أنا وترٌ ينامُ على غريبِ  
وحلمٍ ماتَ في عرسِ الأناملِ

ولكنني انتفضت على شعاع  
تفجّر في الأعالي والأسافل

فمّت يراعة في كفّ شاكٍ  
وعشت جواذباً في جفنٍ راحلٍ

دُفنت مُدامةً في صدرِ كوبٍ  
وقمّت ملامةً في قلبٍ عاذلٍ

وذاكرتي كأنّ بها جنوناً  
يُحطّم قيدها الدهريّ عاقل...

فكم هرقت عظامي في سُرودي  
عظاماً، وارتوى رملُ السّواحل؟!!

قبور الشهوة

فلا مِصْرٌ رَحِيلِي فِي كَمَالِي،  
ولا أَوْهَامٌ مَن رَقُصُوا لِبَابِلُ

وذا دَرَبِي تَلَاشِي فِيهِ نَقْصُ  
وذا غُصْنُ التَّوْتُرِ فِيهِ ذَابِلُ

أنايَوْمُ فَعُمُرُ ثَمَّ دَهْرُ  
ومابِينِ الدُّهُورِ لِقَارِ سَائِلُ

جيبيل في ١٩٩٨/٦/٢

## التحدّي

- ١ -

عِنْدَكَ واقِفٌ كَمَارِدٍ مُخِيفٌ!  
يُخاطِبُ العِملاقَ فيكَ  
يا قَمِمْماً مَسْحُورٌ،  
صُنِعتَ في شَرِقِ الدُّنْيِ،  
وفي بلادِ الرُّوحِ والحُلُمِ الغَريبِ.

- ٢ -

يَهْدِرُ في وَجْهِكَ مَوْجاً عاتِياً!  
يُخاطِبُ البَحَّارَ فيكَ  
يا قارِباً، في زَمَنِ سَحيقِ

زَحَلَّ عَنِ صَدْرِ الْغُرُوبِ عَنِ شُعَاعِهِ الْوَدِيعُ،  
يَبْقَى غَرِيباً بَيْنَ هَمْسَاتِ جُسُومٍ حَاقِدَةً.

- ٣ -

يَعْرِصُ فِي أَرْضِكَ رِيحاً وَجُنُونَ!  
يُخَاطِبُ الْإِعْصَارَ فِيكَ  
يَا سَاحِلًا  
تَنْزِفُ فَوْقَ رَمْلِهِ جِرَاحُ الرَّجَاءِ،  
وَتَشْنِي أَجْنِحَةَ الطَّمُوحِ.

- ٤ -

يَسْتَنْهَضُ الْمَقْتُولَ فِيكَ،  
يَتَنَظَّرُ الْوِلَادَةَ  
وَيَنْبِشُ الرَّمَادَ،  
يُكَلِّمُ الْجَمَادَ،  
وَيُرْسِلُ الْقَلْبَ بَعِيدًا فَوْقَ أَهْدَابِ التَّمَنِّيِّ.

- ٥ -

هُوَ التَّحَدِّي، شَامِخًا،  
صُبَّ وَأَتْرَعٌ مِنْ دِنَانِهِ  
وَأَذْبَحُ إِبَاءَهُ بِسَيْفِ غَمْدِهِ،  
وَاشْرَبُ عَلَى قَبْرِ الذَّبِيحِ نَخْبَ مَوْتِهِ.

١٩٩٨/٦/٢

## فُصَامِيَّة

لا تقْرُبِي مِنِّي مُحَاَلٌ  
شَرُّوْبِرُّفِيَّ حَاَلٌ!

مَهْمَا حَلَوَتْ فِخْطَوْتِي  
لَا لِئَمْ لَا! لَيْسَتْ غَزَالٌ

لا تقْرُبِي مَهْمَا قَسَوَتْ  
فَبَسْمَتِي هِيَ مَا تَزَالُ

لا تقْرُبِي فَرِحَ الْمَسِيحِ  
مُسَمَّرِي أَبِي ارْتِحَاَلٌ

رُغِمَ الكَابَةِ والصَّعَابِ  
وأدمُعِ الخدَّ الثِقَالِ

كفَّاهُ تمسَّحُ مقلتي  
وتُزيحُ عَن شفتي السُّؤالِ

اليَوْمَ يَوْمُهُ.. قد مَضَى  
زَمَنُ الشَّقَاوَةِ والضَّلَالِ

ومَضَّتْ لِيَالِيكَ الخَبِيثَةُ  
في دَهَالِيهِ الخِيَالِ

أحرقْتُ فِكْرَكَ فوقَ ما  
كانَ الفؤادُ بِهِ اشتِعَالَ

ورذلتُ ما تحوي حَيَاتِي  
مِن رَدِيئَاتِ الْخِصَالِ

الآنَ أَصْنَعُ كُلَّ بَرٍّ  
وَالصَّالِحِ لِي الْمِثَالِ

الْيَوْمَ يَوْمُهُ.. مَوْتُهُ  
مَوْتُ وَلَا مَوْتُ الرَّجَالِ

فَدَمُّ الْيَدَيْنِ مُقَطَّرٌ  
وَدَمٌّ مِّنَ الْفَخْدِ انْهَمَالُ:

«إِنْ كُنْتَ فِي نَتْنٍ فَلَيْسَ سِوَى  
الدَّمَاءِ لَكَ اغْتِسَالُ

هَذَا الدَّوَاءُ لِكُلِّ دَاءٍ  
حَلَّ فِي نَفْسٍ عُضَّالٍ»

إِبْلِيسُ حَمَّشَ خَدَّهُ،  
وَرَأَى النِّهَايَةَ وَالزَّوَالَ

لَكِنَّهُ مِنْ لَوْمِهِ  
نَصَبَ المَكَائِدَ وَالجِبَالَ

وَنَسَى بِأَنَّهُ فِي الضَّلْوَعِ  
لَنَا حَبِيبٌ.. لَا يُنَالُ

سُلْطَانُهُ فَوْقَ السَّمَاءِ  
وَفِي البَحَارِ وَفِي الجِبَالِ

قبور الشهوة

سُلْطَانَهُ الْأَزْلِيُّ لَمْ يُدْرِكْ  
وَلَمْ يَخْطُرْ لِبَالٍ

وَجَمَالَهُ عَذْبُ رَقِيقٍ  
لَا يُدَانِيهِ جَمَالُ

لَا تَقْرُبِي مَنْسٍ فَمَحْبُوبِي  
يُنَادِينِي: «تَعَالُ»

## فداء

- ١ -

رِحْلَةُ حَمْرَاءُ  
وَعِنَاقُ التَّصَوُّرِ بِالْوَجُودِ.

- ٢ -

قِبْلَةُ غِنَاءٍ  
وَسَلَامٌ بَيْنَ السَّفَرِ وَالْإِقَامَةِ.

- ٣ -

رَنَّقَتْ عَيْنُ الْأَزَلِ  
شَهْوَةً..

وأمنيةً حَاكَتْ ثوبَهَا..  
ونثلتُ أنغامَهَا مِنَ الأنفَاسِ الدَّهْرِيَّةِ العَاشِقِةِ.

- ٤ -

هُوَ الرُّؤْيَةُ فِي العَيْنِ،  
وَالفِكْرَةُ فِي الكَلَامِ،  
وَالشَّهْوَةُ فِي الوُجُودِ،  
وَالجَمَالُ فِي الجَمِيلِ.

- ٥ -

أَيُّهَا النِّسْرُ المَجِيدُ العَظِيمُ،  
ضَاقَ بِهِ المَدَى..  
تُرَاكَ فَوْقَ التَّرَابِ الغَرِيبِ  
تَغْدُو غَرِيباً.. كَلِيلَ المِخْلَبِ وَالجَنَاحِ!  
تُشْمِلُ الأَرْضَ بِدَمِ الحُرِّيَّةِ وَالحَيَاةِ؟

-٦-

وأنا..

لونُ رَمالِ الاغْتِرابِ المُتَحَرِّكةِ  
يُوشِّحُ وَجْهِي.

وأنا..

تُحْرِقُ عَيْنِي أُخَيْلَةٌ وَمَشَاهِدٌ...  
وَضَوْضَاءٌ وَجُنُونٌ.

وأنا..

طِينٌ مَجْبُولٌ بِرُحاقِ الذاتِ والأُنانيَّةِ والإِباءِ.

وأنا..

تَجُرُّ قَدَمَيَّ سَلاسلَ المَجْدِ والطَّموْحِ.

وأنا..

تراِبٌ غَريبٌ.

فاسكَبْ مِنْ جُرْحِكَ مِنْ نَزْفِكَ أَثْمَلْنِي،

قُبُورِ الشَّهِوَةِ

فقد ذابَ قلبي شَهْوَةً  
إِلَى الحُرِّيَّةِ.

١٩٩٨/١/٨

## حبّية

مَاتت مُنذُ أَلْفِ عَامٍ...  
ولن تولدَ قَبْلَ أَلْفِ عَامٍ أُخْرَى.  
حَبِيبَتِي!  
أَيَّامِي نَوْمٌ عَلَى أَجْنِحَةِ الْيَقْظَةِ،  
غُرُوبٌ خَمَسَ وَجْهَ الْفَجْرِ،  
مَوْتُ تَقَمَّصَ صُرَاخَ الْوِلَادَةِ.

حَبِيبَتُهَا وَمَا حَبِيبَتُهَا!  
وَرَاءَ حُجُبِ التَّصَوُّرِ وَالْهَوَا جَسْ.  
ذَبَحْتُ أَوْهَامِي...  
وَأَلْبَسْتُ شَوْقِي عَبَاءَةَ الْوَاقِعِ وَالْحَقِيقَةِ.

حبيبي!

أيامي غروبٌ خمّش وجهَ الفجرِ.

ما كنتِ ولن تكوني!..!

وعندما تُلامِسُ أناملُ التغرُّبِ بَوَابَةَ الوُصُولِ،

تفتحُ حبيبةً ما أحبَّها قلب،

وتقولُ: « لستَ حبيبي! مَنْ أنتِ؟! إِرْحَلْ! »

وفي أحشاءِ القصرِ المهجورِ

يُسمَعُ انتحَابٌ مُرٌّ ما لهُ نِهَايةٌ.

## انبعاث

يَا سَائِلِي مَنْ ذَا الْإِلَهَةِ؟  
كَأْسَ الْمَنُونِ لَقَدْ حَسَاهُ!

الْجُلُجُلِثَّةَ صَاعِدًا...  
يَمْشِي وَيَعِي فِي خُطَاهُ

إِنِّي نَظَرْتُهُ كِي أَرَى  
سَأَلْتُ دِمَاءَ دِمَعَتَاهُ

وَعَلَى التُّرَابِ سَكَائِبُ  
رَسَمَتْ طَرِيقًا مِنْ دِمَاهُ

قبور الشهوة

يَمْشِي وَقَدْ أَحْنَى جَبِينَهُ  
فَانْحَنَتْ كُلُّ الْجَبَاهِ

يَمْشِي فَلَا خُبْرِي مَدُّهُ  
وَلَا مَاءٌ رَوَاهُ...

يَمْشِي فَلَا حَانَ يَجْنُّ لَهُ  
وَلَا حَامٍ حَمَاهُ

فَكَأَنَّ لِصَّاحِرٍ  
أَوْ مُنْبِئًا ضَلَّتْ رُوَاهُ

فَعَلَى يَمِينِهِ مُجْرِمٌ  
وَعَلَى الْيَسَارِ.. تَقَاسَمَاهُ

رَفَعُوا عَلٰى عَارِ الصَّلِيبِ  
قَدَاسَةً فَغَدَّتْ لِوَاهِ!

تَبْكِي الْوَجُوهَ عَلٰى صِبَاهِ  
وَلَيْسَ تَبْكِي مُقْلَتَاهِ

وَلَكُمْ تَمَنَّى الْقَبْرِ يَوْمًا  
أَنْ يَزُورَهُ فَاشْتَهَاهِ

وَتَجَسَّمِ الْحُلْمَ الْبَعِيدُ لَهُ  
فَحَقَّقَ مُبْتَغَاهِ

إِبْلِيسُ يَرْقِصُ قَلْبُهُ  
فَرَحًا لِمَوْتِ قَدِ شَفَاهِ

وَيَظُنُّ أَنَّ صِرَاعَهُ الْأَزَلِيَّ  
قَارَبَ مُنْتَهَاهُ

يَا مَوْتُ لَا! يَا قَبْرُ لَا!  
إِبْلِسُ مَهْلَأًا.. وَانْتِبَاهُ!

أَحْلَامُكُمْ ظَلَّتْ عَلَى سُحْبِ  
الْخِيَالِ عَلَى ذُرَاهُ

يَا قَبْرُ وَدَّعْ زَائِرًا  
سُكْنَاهُ دَوْمًا فِي عُلاهُ

يَا قَبْرُ ذَاكَ مُسَافِرٌ  
لَوْ كَانَ فِيكَ نَهْيُ سُرَاهُ.

يَا قَبْرُ أَنْظِرْ فِي ظِلَامِكَ  
هَلْ تَرَاهُ كَمَا أَرَاهُ؟

يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُشْرِقاً  
ضَجَّ الْوَجُودُ عَلَى صَدَاهُ؟.

بِوَقُ الْمَلَائِكِ صَادِحُ  
وَتَرْتَمُّمِ مِلْءِ الشَّفَاةِ:

«إِنِّي الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ،  
وَلِي مَفَاتِيحُ الْحَيَاةِ»

«حَيٌّ أَنَا» قَالَ الْمَسِيحُ  
وَلَيْسَ مَيِّتاً فِي ثَرَاهُ

قبور الشهوة

لكنه باكورة  
للراقدين على رجاءه

يفارغاً يا قبر، جئتُك  
ليس فيك سوى رده

بالأمس جاءك ميتهاً  
واليوم قام إلى سماءه!

لا تسألني عن إليه  
قد يُحبُّ كذا الإله،

إني حَبَبْتُهُ لا أرى  
في الكونِ مَحْبُوباً سِوَاهُ

في ١ / ٤ / ١٩٩٦

## فَرَاعِيَّات

الأغلالُ تقيّدُنَا، تدمي أيدِينَا،  
الخناجرُ الخفيّةُ تطعنُنَا فتنتالُ دماؤُنَا.  
مفتاحُ السّجنِ استولى عليه الزّمن.  
والحقيقتُ، كالعادة، تأخذُنَا إلى طريقِ الصّمت.  
ووسطَ الظلام، تحاولُ أن تعثرَ على روجك  
التي تفقدُها كلّ مساء.

ألكسيو مانوليس

أغلال

ورأيتُ الوحشَ وملوكَ الأرضِ وأجنادهم  
مجتمعين، ليصنعوا حرباً معَ الجالسِ على الفرَسِ  
ومعَ جنّده. فقبضَ على الوحشِ والنبيِّ الكذابِ

قبور الشهوة

معهم، الصّانِعُ قَدَامَهُ الآيَاتِ التي بها أَضَلَّ الذينَ  
قبلوا بِسَمَةِ الوَحْشِ، والذينَ سَجَدُوا لِصُورَتِهِ.  
وَطُرِحَ الاثنانِ حَيَّينَ إِلَى بُحَيْرَةِ النَّارِ الْمُتَقَدَّةِ  
بالكبريت.

والباقونَ قتلوا بِسَيْفِ الجالسِ على الفرسِ الخارجِ  
من فمِهِ، وجميعِ الطّيورِ شَبَعَتْ مِنْ لِحْوِيهِمْ.

#### سفر الرؤيا ١٩ : ١٩-٢١

هناك من لا يحبُّ الجدار! ويحررُ المُتدفِّقاتِ الجامدة  
فيه، ويُدزِّي عناصره المرتفعة في الشمس، ويفتح في  
الغياياتِ ثغراتٍ لا تسمحُ لمرورِ اثنين. أمّا ما يرسمه  
الصيادون، عبثاً، فليلٌ آخر. أنا جئتُ بعدهم، وبكيتُ  
حيث لم يتركوا ثقلاً فوقَ ثقل. لكنهم أخرجوا الأرانِبَ من  
تدوّراتها لإرضاءِ العوائيات! تلك الصّداعياتُ.. أنجذني..  
لا أحدَ رماها في الرّيح، أو سُمِعَ بأنّها ذوت، لكننا في  
الخريف، زَمَنَ التّصْفِرِ والانجراد.. ونلقاها هناك.

حدّثتُ جاري تحتَ آفاقِ المَرَجَةِ المُتْراميةِ الأعرافِ .  
ونلتقي ذاتَ زَمَنِ.. لنصيرَ روحاً في التخوم، ونقيمَ بيننا  
الجدارَ الذي نرثيه. لكلِّ عناكبُهُ وسيقائهُ المديدة. بعضُها  
مدوّر وبعضُها الآخر مكعّب، والبعضُ كالأرق الأزرق،  
والبعضُ يستعملُ السّحرَ لكي يتغافى. فارقصي مكانك  
حتى نغيّرَ وجودنا.. ونجرّحَ أصابعنا من العُزلة. آه! هو نوعٌ  
من التعابثِ الغيبيّ، وهو كلُّ على جانبِ سُخاميّ المذاق،  
إنّه حيث لا يحتاج إلى الجدار. جبهته كلّها صنوبراتُ تفّاحٍ  
لوزيّ الحنين، وحنيني لوزُ تفّاحٍ صنوبراتيّ الرنين. لن يُسافرَ  
بين الدّكراتِ والتوقّعاتِ مُمتطياً صهوةَ حصارٍ أصعب..  
سيبقى شحاذاً بينَ خوفِهِ وجنونه.. وسُلطاناً بينَ المراكبِ  
والمواكبِ والعناكب. أقول له... فيجيب: «الهباجُ المالحُ  
يصنع الصّفاءَ للخيرين» ويتشهى خريفهم خبيثاتِ خبثِ  
طفوليّ البلايا.. والنوايا. فاستأهلُ عندئذٍ أن أوقّعَ فكرتي

قبور الشهوة

في هامشٍ: «لماذا هياج الملح صفاً للخيرين؟» أليس حيث يكون الخوار توازيات مُعلنة؟ لكن هنا ليس اجترار.

قبل أن بنيت فراغي.. وظلالتي.. وددت أن أعرف ما هو التاريخ؟ وماذا رميت خارج السياج، ولماذا بكيت لماذا هذيت؟ هناك من لا يحب الجدار! ويريد أن يُدرّي تدفقات عناصره المكابرة. كان في وسعي أن أقول له: «الشيطان»، لكنهم ليسوا أبالسة، ولا صنفاً من الجن الأخرق. فأراه هناك يحمل في راحتيه، كليهما، جنوناً.. بل شوقاً جنونياً إلى الجنون! كأنه مغولي جميل في الخصر العجري، يسير في الظلمة والعدم الذي يحب. هكذا يبدو لي.. وامتدادت جمال لا كمر له ولا تذييل. وهو على ما يبدو، فكر جيداً، وأنشد دائماً: «الهباج المالح يصنع الرياء للخيرين».

حينَ تُعَلِّقنا الأرياحُ في المنام، وتتوهَّجُ الثلوج، من  
الكوى الشَّرقيَّةِ السُّفلى يطلُّ، ويهمسُ بما يشبهُ الصُّباحِ  
الخافِت. يا لها من وحش! «أخرجوا أخرجوا». كلا!  
ونحصى عندئذٍ قوتنا المتناثرةَ عظاماً يابسةً في بُقعِ البؤسِ  
والشِّقاءِ الرَّخيم. اثنان وطفلٌ وموسيقى. ومن ليس رائياً  
منا يشتاؤُ زحفَ النِّقيع، وديدانَ الذَّهبِ المُتعرِّق، وكيف  
يتراكمُ النِّسيم؟ وتمَّحي معالمُ البَطريقِ والمزارعِ حتى  
انتفاضاتِ إيقاعِ عجوز.

ويُعاقرُ الخمرَ فؤادي في يقينٍ.. في أننا استطعنا  
الشُّروقَ مع النَّهارِ لِإنقاذنا دون ما مُعين. هناك عبرَ  
سحاباتِ الخُضارِ والشِّكِّ المُريب.. وفوق الحامياتِ  
دروبي، وصعدتُ حُزني خوابي مقرفةً وبعثرتُ أرقاماً على  
الخلاص. ونزلتُ.. ثمَّ عدتُ إلى مَيْتي القتيمِ وما بلغت  
النَّهاية. أعراقي كلُّها ممزَّقة على العرَّض، وأبكاري هاربةٌ إلى

المسهول، إلا التي على السنديانة انزعها واحدة فواحدة..  
وتمضي تجرُّ خطاها هناك على الجليد، والآخرين في  
سبات. أعراقي الميئة ترقد هادئة هنا، وأبكاري الهاربة لا  
تسرقها الريح في كل مهب، والزنبقة الوحيدة الباقية قضت،  
وذوت زهور الوزال. «إلى أين؟» آه.. متى كان لقلب وجود  
أجل من خيانة منجرفة مع الأشياء. هأنذا أخضع من عقل  
وديح، ينحني راضياً في هواية المواسم.

شع مصباح وجد في عمق المخزي، على رقم  
وحرف من غاب، وكنس الظلال هما على مظلة في جميع  
المرايا. سُمع نقع حافر على البلاط... وتحرك ظهر العربة  
التي وقفا. وأمسك الرقم بالدولاب، وصاحت الحرف  
بعنف: «هو هو!» وأضافت: «شعرته بوضوح كظاهر  
الصحن الأبيض»، فيما الشعاع تمط على مدى الأعشاب  
والعُشوب. وجهي هويتي. لا بد أنك رأيت.. لا لم أره. كان

وجهاً لا أستطيع الدّخول، لا أستطيع، وأترك الشّوق مُتدلّياً.  
 إطلاق الأنوابِ وإبدال الأكوار لا يُجيدان. طالما شعرتُ  
 بالغرابة حينَ تضيءُ بالمَيْتِ على هذه العار المُسخِمة بعد  
 غيارٍ عويلٍ.. وخشخشاتٍ عاليةٍ مكانه. كأنّما يُحدّرنا  
 من انبساطٍ خارجاً أو داخلًا! ماذا لو كنتَ على صواب؟  
 واحدُهم ليلةَ الوقتِ لا تمسِكُ ذراعي.. سيكونُ ماراً على  
 الرّصيف.. تتكلّم كأنّما هذه هي الدّواماتُ القزّمة. ولماذا  
 يحلُّ دائماً في دماءِ الأربيع؟ لسنا متأخراً، إنّها الظّلمة فقط،  
 وفي الأمر أكثر ممّا تحسّبين. أوريون يرتقي رفيقَ الشّفق،  
 ودائماً، كما تعلمون. وسوف يرمي إحدى ساقه على  
 عُبَابِ جبالنا وينهض على يديه. فانظر إليّ أنا في العراء..  
 أسافرُ من ليلٍ كانَ أن أقومَ به في النّهار، وبعد تجميداتِ  
 أوراقِ النّقيع.

الحلمُ يَقْرَعُ وجهي بسوءِ ليلٍ ضاجعِ رمالِ الشُّطوطِ.  
الحلمُ يسبحُ بينِ الأسودِ الآفلِ والشَّعاعاتِ المُقبلةِ على  
عزفِ البراءةِ.. والشَّيطانُ مُسجَى نَزيفٍ.. قايضُ أزمتهُ  
المُغويةِ بقوافلِ الدَّمِ والدِّماءِ. «فاوست» يتحرَّى فمي وراءِ  
وحشةِ تيهٍ يعتنقُ اغترابَ الرِّيحِ، وأقذِفُ أنا جرحي عندَ آخرِ  
حانَةٍ من حاناتِ بَوْحِي. وتستفيقُ فيها الأجوبةُ كغانيةٍ..  
هناك أميطُ اللثامَ عن خُصْبِ شفاهيِ النَّائمةِ وأقولُ دهشتي  
حتى الجداولِ.

أخلعُ جلابَ أهوائيِ داليةً مِغناجاً، وأراقصُ  
أراجيحَ العِرافَةِ، وأبتكرُ وصلاً بينَ الغِياباتِ  
والاستثناءاتِ. «فرنسيسكا» جسدٌ مغروزٌ في الثرى يانعاً /  
يافعاً والثرى سماء! أرضاً أخرى دعوتُها، ذاتَ وهمٍ، بؤابةِ  
الرُّوحِ لِلْمُطلقِ المِطمئنِّ فينا، وليسَ غريباً أن أستقبلَ وحيَ  
الجَانيحاتِ أحرَسَ.. وجدائهنَّ المَنتورةَ حِكاياتِ تنزيلِ

استثنائي على شُرفة الأحلام. وشموعي تستفرغ إيقاعاتها  
 المهاجرة في شرايين طحالات التاريخ المُنتن. أدخل بين  
 قشوره المُهترئة حتى الآخر.. ما لست أخشاه وإن تعددت  
 المطايا إليه غريباً.. وحيداً يلسعني اليباب ولست ألوم  
 نزيفي.. أحياناً، يحدث أن يُمسح أرق وأهدأ.. وفي البعيد  
 يُعطيك فاتحة الزمن القادم / المتقادم... بالعدم يُدثرُك،  
 بحكمة القدوسين من جديد أقبية مدائن بابل، ويستنهض  
 المهوم حياً بين القرايين العجائزية الغريبه. ها وطئت  
 ترائب خلف البحار وأيقنت نفسها حبيبات لأرضك،  
 فأحملُ عشقاً وناراً لقد كان حُلماً كئيباً فولّى، وعدت إليهم  
 مُشوقاً ولست براحل، فحبك ينمو تلالاً كم بينها شعرتُ  
 بمتعة رغبتي، ودفء دثاراتي وعباءاتي المُمزقة. فتلك  
 التي في جنونها امتدت، وأدارت اللعبة مغزلاً قرب وهج  
 رحيلك المُتخيّل.

لي الليلُ بسرعةٍ فارتمِ يا طيفها فوق موجةٍ شريقيّةٍ  
سكرانٍ من وجدٍ. أسرع إلى كهف الغرابة المتجلبية  
بالضبابِ القاتم، حيثُ تنسجُ العناكبُ طوال النهار أحلامَ  
الفرحِ والدّعرِ والسلام... تلك مواهيمُ تسافرُ سافرةً عارية،  
وذاك عزيزٌ حبيب. فترجّلُ أيها الرّحيلُ الرّتيب، واهربُ  
سريعاً ولفّ روحك بالرداءِ القرنفليّ المرصع بالحصى،  
واعصّب بشعرك عُيونَ الغرامِ والخداع، وقبلها حتى تُغيّبها  
القبل. وتجوّل فوق المدائن والقري.. والبحرِ والبرّ،  
وبحبلِك المخدّرة مُسّهم جميعاً، وأسرعُ يا ليلها الهارب  
على دَفقِ الوَله، فقد سأل الترقّب والانتظار. عندما نهضتُ  
وشاهدتُ انبثاقَ الشّقاءِ في فنجانِ قهوةٍ وفي دَورةِ المياهِ  
وهدرِ مُحرّكِ السيّاراتِ العاوية.. تنهّدتُ ومن أجلكِ  
تصالبت. وعندما ارتفع الضياءُ تدوراً، وتلاشى الندى  
مع عطرِ الحقول، وعرّجَ السّيرُ إلى مُخدعِ الرّاحةِ متثاقلاً  
كضيفٍ ثقيلٍ ممضّ، ثمّ تنهّدتُ ومن أجلكِ تصالبتُ.

أخوك المموتُ ارتمى، وبى هتفَ المنادي: «أما تريدني  
وتبغيني؟ والنّعاسُ حفيدك الحلوُ الوديع ذو عينين فراشيّتي  
الألوان، فدمدمَ ثمّ قال: «أتمدّدُ قربك واستريحُ بجنبك..  
أما تريدني وتبغيني؟» فأجبتُ: «لستَ من أبغي أو أريد..  
وإنّما الحبُّ يأتي عندَ هطلِ الوعدِ الوكيف».

## المحتويات

٧	توطئة
١١	العاشقة
١٥	النار
١٩	صرخة أسر
٢١	سريالية
٢٤	ظلال ذئب
٣٣	قصيدة الاغتراب
٣٦	الحب
٤٠	الشحاذ والرّائي
٤٣	قبور الشهوة
٤٨	تقاطع
٥٠	الليل

٥٤	مُستديرة.....
٥٨	الشارع في مدينتي .....
٦٢	الأرجوحة .....
٦٦	قطرات رمالٍ كبيرة .....
٧١	هذيان عند قبر أيوب .....
٧٤	تغيير .....
٧٨	التحدّي .....
٨١	فُصاميّة.....
٨٦	فداء.....
٩٠	حبّية.....
٩٢	انبعاث .....
٩٨	فراغيات .....

قبر الشهوة

قبور الشهوة